Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The Battle of Tal al-Sultan (571 AH/1175 AD) between the prince of Mosul, Saif al-Din Ghazi, and Saladin al-Ayyubi, through historical sources.

Suhaib Hazim Abdul Alrazzaq
Asst. Prof./ Department of Literary Studies and Documentation/ Center for Mosul Studies// University of Mosul

Article Information

Article History:
Received February 05, 2024
Reviewer March 04 .2024
Accepted March 10, 2024
Available Online September1, 2024

Keywords:
Zengid
Ayyubids
Nur al-Din
Saladin
Egypt

Correspondence:
Suhaib Hazim Abdul Alrazzaq
d.r.suhaib_algatanfari@uomosul.edu.i

Abstract

The research is concerned with a battle that is one of the Islamic historical events, but it did not take place between the Muslims and Aden, but rather directly between two sects of wine, namely the Zangids and the Ayyubids, which is the battle of Tal al-Sultan in the year (571 AH). A change occurred with the change of other working forces, as its results were that the Ayyubid state became the most influential in the Levant and Egypt, while the Zengid state lost its influence in them and its influence was limited to Mosul, Aleppo, Mosul, and the Euphrates Peninsula. Sultan Saladin al-Ayyubi became in control of Egypt and the Levant, as well as Yemen. The aim of the research was to find out the opinion of Muslim historians on the battle, as well as their reporting of its events. of the battle differ at times, and this difference may be due to existing political positions between the historian and the two sides of the battle, whether positive or negative.

DOI: 10.33899/radab.2024.146625.2081©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

معركة تل السلطان(571هـ/1175م) بين أمير الموصل سيف الدين غازي وصلاح الدين الأيوبي من خلال المصادر التاريخية

صهيب حازم عبد الرزاق *

المستخلص

يختص البحث بمعركة من معارك التاريخ الإسلامي ولكنها لم تقع بين المسلمين وأعدائهم، بل وقعت بين طائفتين من المسلمين وهما الزنكيون والأيوبيون وهي معركة تل السلطان في سنة(571ه/1176م). إذ انتهت بتغيّر ميزان القوى بينهما، و كانت نتائجها أن أضحت الدولة الأيوبية ذات النفوذ الأقوى في بلاد الشام ومصر، في حين خسرت الدولة الزنكية نفوذها فيهما واقتصر نفوذها على الموصل وحلب والموصل والجزيرة الفراتية، وأصبح السلطان صلاح الدين الأيوبي يحكم مصر وبلاد الشام فضلاً عن اليمن، وكان الهدف من البحث معرفة رأي المؤرخين المسلمين في المعركة، فضلاً عن نقلهم لأحداثها. وقد يكون ذلك الاختلاف بسبب مواقف سياسية قائمة بين المؤرخ وطرفي المعركة سلبا أو ايجابا.

الكلمات المفتاحية: الزنكيون، الأيوبيون، نور الدين، صلاح الدين، مصر

المقدمة

لقد شهد التاريخ الإسلامي معارك ومواقع عسكرية مهمة غيّرت موازين القوى بين طرفيها، ومن تلك المعارك معركة تل السلطان، إذ حدثت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وتحديداً في عصر الدولة الزنكية، وكانت من أقوى الدول الزنكية في الموصل وبلاد الشام، ولا شك أن دولةً قوية كالدولة الزنكية كان لها أعداءٌ ومنافسون يتربصون بها من كلّ جانب. فالعدو الأول لها هم

* استاذ مساعد / قسم الدراسات الأدبية والتوثيق مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل

الفرنجة، أما المنافسون فكان الأيوبيون في مقدمتهم ومن أكفئِهم لمواجهة الدولة الزنكية وكانوا في انتظار حلول الفرصة لإقامة دولتهم المكافئة لها أو تفوقها في قوتها. ومن الطبيعي أن العامل الذي يغير موازين القوى ويمكن دولةً معينة من احتلال مكانةِ دولةٍ أخرى هو الصراع السياسي الذي يتحول إلى صراعٍ عسكري فضلاً عن طبيعة حكام الدول المتنازعة من حيث الضعف أو القوة.

إن من أهم الأهداف التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع :

1_ مكانة الدولة الزنكية في التاريخ الإسلامي ودورها في التصدي للحملات الصليبية، وأن الدولة الأيوبية قد أكملت نهجها في ذلك.

2_ أهمية معركة تل السلطان في الصراعِ بين الدولتين وتغيير ميزان القوى بينهما فضلاً عن نتائج أخرى، وذلك من خلال منظور العديد من المصادر التاريخية.

3_ معرفة سبب ذكرها بشكلٍ مختصر وسبب تحول نتائج المعركة بشكلٍ معاكس.

أمّا البحث فقد تضمن:

تمهيداً: يتناول العلاقات بين الزنكيين والأيوبيين منذ بدايتها وحتى ذروتها ثم انتهائها.

ثم المحور الأول: تناول الموقف السياسي بين الزنكيين والأيوبيين بعد الملك نور الدين محمود. في حين تناول المحور الثاني: معركة تل السلطان وظروفها ونتائجها، وتصوير أحداثها من خلال منظور المصادر التاريخية. أما المحور الثالث فتناول: أهداف المؤرخين من تصوير المعركة ونتائجها، ورأي الباحث بنصوص المؤرخين الخاصة بالمعركة. أما الخاتمة فتضمنت نتائج البحث وما توصل اليه الباحث.

تمهيد

بدأت العلاقات بين الزنكيين والأيوبيين في سنة (526ه/1132م)حينما مضى الأمير عماد الدين زنكي[1] إلى تكريت بعد أن طارده الخليفة العباسي المسترشد بالله(512_529/1118_1135م)[2] وغلبه بعد نزاعٍ بينهما، فالتقى بدزدار[3] تكريت نجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي سيكون مؤسس الدولة الأيوبية في المستقبل، فكانت العلاقات حسنة بين زنكي وأيوب، إذ أحسن الثاني ضيافة الأول وأعانه على الهرب من الخليفة المسترشد بالله والرجوع إلى الموصل عن طريق النهر وزوده بالمعابر، فحفظها له وكانت سبباً للصداقة بينهما ورد الجميل في المستقبل[4]، إذ تركت الأسرة الأيوبية تكريت والسبب ما ذكره أحد المصادر المختصة قائلاً: **"وقيل إن نجم الدين أيوب رمى مملوكاً من مماليك نجم الدين بوهروز[5]بسهمٍ فقتله، فخشى نجم الدين، فتوجه نحو الموصل ومعه أخوه أسد الدين، فخدما عماد الدين زنكي.."**[6]،ومنذ ذلك الحين توطدت العلاقات بين عماد الدين زنكي والأيوبيين مما جعله يهبهم ثقته، ويمنُّ عليهم بالمناصب الإدارية[7]،ويكرمهما بالإقطاعات[8]. ومن ذلك أنه وبعد امتلاكِهِ لبعلبك جعل نجم الدين أيوب دزداراً لها[9].

وفي سنة(541ه/1147م) وبعد استشهاد الأمير عماد الدين زنكي في أثناء حصارِهِ لقلعة البيرة[10] حل محله ولداه سيف الدين غازي(541_544ه/1147_1149م) أميراً على الموصل، ونور الدين محمود (541_569ه/1147_1174م) الذي لُقبَ بالملك العادل[11] أميراً على حلب ومن بعدها دمشق في سنة (549ه/1154م)[12]، حين ذاك أصبح أسد الدين شيركوه[13] أخو نجم الدين أيوب

---

(1) عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله، ولد في العام(477هـ/1084م)وكان عمره عشر سنوات حين مقتل والده في العام (487هـ/1094م)، وبعد مقتل والده احتضنه أعوانه، بن الاثير، الباهر، ص 15.

(2) أبو منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله، كان شهماً وله إلمام بالحديث النبوي الشريف، سمعه من عبد الله بن هبة الله السيبي، السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911ه/1506م)، تاريخ الخلفاء، إشراف: محمد غسان نصوح عزفول الحسيني، (قطر وزارة الأوقاف واشؤون الإسلامية، 1434ه/2013م)،ص663.

(3) الدزدار : هو صاحب القلعة، وكلمة دزدار مكونة من مقطعين دزة : وتعني القلعة، ودار: تعني الحافظ، فالمعنى : حافظ القلعة، العبايجي، ميسون ذنون، نواب ادارة قلعة الموصل خلال العهد الاتابكي (521_ 631هـ/1127_ 1234م)، بحث منشور،(مجلة دراسات موصلية، جامعة الموصل، مركز دراسات الموصل،2005م)،ع8: 26؛ الدباغ، هدى ياسين،الاسهام الحضاري لاهل الموصل والجزيرة في بلاد الشام ابان العصرين الزنكي والايوبي (521_ 658هـ /1127_1258م) ، (العراق،الموصل، جامعة الموصل، ،دار ابن الأثير للطباعة، 1444هـ /2023م)، ص42.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ /1987م)،9: 263.

(5) لامجاهد الدين بوهروز بن عبد الله الغياثي شحنة العراق ، ابن واصل،جمال محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،تحقيق: جمال الدين الشيال،(القاهرة، المطبعة الأميرية، 1376ه/1957م)، 1: 7.

(6) المصدر نفسه، 1: 8.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9: 263.

(8) ابن الأثير،التاريخ الباهر،ص119.

(9) المصدر نفسه، ص59.

(10) البيرة: وهي قلعة حصينة واسعة المساحة تقع بين حلب والثغور الرومية، ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله (ت626هـ / 1229م)، معجم البلدان، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1980م)، 1: 624.

(11) ابن القلانسي ،ابو يعلي حمزة (ت555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، (القاهرة، مكتبة المثنى، د . ت)، ص 302_303.

(12) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص106.

(13) أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين،ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681ه)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د.ت)، 2 : 479.

مستشاراً للملك العادل نور الدين محمود ووزيراً له لشجاعته وجرأته[1]، ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات بين الدولة الزنكية والأيوبيين الذين أصبح لهم أثرٌ في المحيط السياسي للدولة الزنكية[2]، وأَضحَت سياسة الدولة الزنكية تقومُ على الوفاقِ مع الأيوبيين.

وفضلاً عن أن أسد الدين شيركوه كان وزيراً للملك العادل نور الدين محمود، فقد كان من سفرائِهِ ورُسلِهِ لشؤونٍ مختلفة ومن ذلك إرسالِهِ إلى مصر في ثلاث حملاتٍ عسكرية، كانت الأولى في سنة (559ه/1164م) لاعادة الوزير شاور[3] إلى منصبه وزيراً بعد أن أخرجه منه منازعه ضرغام بالقوة وقام بقتل الكثير من الأمراء المصريين، فهرب شاور إلى بلاد الشام مستجيراً بالدولة النورية فيها[4]. وبعد إعادة شاور إلى منصبه استبد بالحكم وأوعز لأسد الدين شيركوه بالرجوع إلى بلاد الشام للتخلص من أيفائِهِ بوعودِهِ له بإعطائِهِ ما تحت يده، فرفض أسد الدين ذلك وأمر أعوانه بالاستيلاءِ على بلبيس[5] وأصبحت البلاد الشرقية من مصر تحت حكمه وتآمر مع الصليبيين ضد شيركوه[6].

أما الحملة الثانية على مصر فكانت في سنة (562ه/1167م)، إذ كلف الملك العادل نور الدين محمود أسد الدين شيركوه ومعه مجموعة من أمراء الدولة النورية، وكان أسد الدين شيركوه ينوي التوجه إلى مصر لتأديبِ شاور على خيانته له، فتوجه إلى مصر ونزل في الجيزة[7] في الجانب الغربي من النيل[8]، فلمّا علم شاور بقدوم أسد الدين شيركوه إلى مصر وعزمه على تأديبه، أقدم على الاتفاق مع الصليبيين واستمالتهم للقدوم ومحاربة أسد الدين شيركوه لإخراجه من مصر ومنعه من امتلاكها، وتخويفهم من ملكه لمصر عليهم وعلى أملاكهم إن حدث ذلك، فسارعوا إلى تلبية دعوتهِ لتقارب وتوحد مصلحتهم مع مايريد من خلال التخلص من أسد الدين شيركوه[9]. حينئذٍ كان اللقاء مرتقباً ومؤكداً بين أسد الدين شيركوه والقوات الصليبية، وحصل الإجماعُ عليهِ، وقد شارك في هذه الحملة ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي بدأ نجمه يظهر في ذلك العقد من العصر الزنكي، إذ وضعه في القلب من الجيش، فتمكنت تلك الحملة النورية المؤلفة من ألفي مقاتل من دحر الجيوش الصليبية التي كانت مستعدة لاحتلال مصر،وقد وصفت بأنها من أغرب ما أُرّخ له من حملات[10]. بعدها تمكن من الإستيلاء على الإسكندرية[11]، إذ سلمها أهلها له من دونِ قتال، فاستناب عليها ابن أخيهِ صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد إلى منطقة الصعيد[12].

أما الحملة الثالثة على مصر فكانت في ربيع الأول من سنة (564ه/1169م)، إذ أستغاث العاضد الفاطمي بالملك العادل نور الدين محمود، وذلك لسيطرة الصليبيين على مِصر بالتعاون مع شاور، الذي مهد لهم احتلال مصر بعد أن قام بحرقها، فضلاً عن اتفاقه معهم خفيةً وفق الشروط المذكورة، فقام الملك العادل نور الدين محمود بإرسال أسد الدين شيركوه على رأس هذه الحملة فتمكن من الاستيلاءِ على مصر[13].

وبعد أن أتم أسد الدين شيركوه مهمته في ضمِّ مصر إلى دولة نور الدين محمود توفي في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من العام (564ه/1169م). وهنا تشهد الدولة الزنكية ظهور حدثٍ سياسي جديد يتمثل بظهور الأيوبيين في مصر كقوة قابلة للانفصال عن الدولة الزنكية في أيّ وقت، إذ تسلم صلاح الدين يوسف بن أيوب مكان عمه أسد الدين شيركوه في مصر التي عدها مقراً له منذ ذلك الحين بعيداً عن سلطة الملك نور الدين محمود، وجعَلَه العاضد وزيراً له ومنَحَه علامات الوزارة من عمامة وجبة، ولقبه الملك الناصر، وكانت إمدادات الملك نور الدين محمود العسكرية تصله لصد الحملة الصليبية على دمياط[14] وحمايتها[15].

وفي سنة(566ه/1171م) بدأ الخلاف بين الملك العادل نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب، وذلك لأن الملك العادل نور الدين محمود أمر صلاح الدين بن أيوب بالقدوم مع قواتِه إلى الكرك[16] للتحرك معاً لقتالِ الصليبيين، إلاّ أن صلاح الدين لم يجب طلبه وتذرع بأنه يفضل ضبط الأمور في مصر ومنع انفلاتها بعد ضبطها، مما أثار غضب الملك العادل نور الدين محمود، وهذه

(1) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص120.
(2) المصدر نفسه، ص95.
(3) شاور السعدي: وزير العاضد الفاطمي صاحب مصر، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 120.
(4) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، 9: 460.
(5) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ من فتوحات القائد العربي عمرو بن العاص، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1: 567.
(6) ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص121.
(7) الجيزة: وهي كورة كبيرة واسعة، من أفضل كورِ مصر، وتقع غرب فسطاط مصر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2: 232.
(8) ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص132.
(9) المصدر نفسه، ص132.
(10) المصدر نفسه، ص133.
(11) الأسكندرية: من فتوحات القائد العربي عمرو بن العاص في مصر في العام (20ه)في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ومما تميزت به وجود تعرجات كان العلماء يجلسون عليهم في حلقاتهم العلمية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1: 217 _ 223.
(12) ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص133.
(13) المصدر نفسه، ص137.
(14) دمياط: مدينة في مصر تقع بين تنيس ومصر في زاوية من البحر المتوسط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2: 537.
(15) ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص142_143.
(16) الكرَك: بفتح الراء حصن يقع بطرف الشام في البلقاء بين البحر الأحمر وأيلة وبين المقدس، وهي على سن جبلٍ عالٍ، تحيط بها الأودية إلا من جانبٍ واحد، ياقوت الحموي، معجم البلدان،4: 514.

الحادثة تسببت بتغيير الموقف بين الدولة النورية والأيوبيين وبدأت القطيعة بينهم[1]. وظهر التنافس والعداء بصورته الحقيقية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود في الحادي عشر من شوال من العام (569ه/1174م)[2].

أولاً: الموقف السياسي بين الزنكيين والأيوبيين بعد الملك نور الدين محمود:

بعد إعطاءِ صورةٍ عن العلاقات بين الدولة الزنكية والأيوبيين وخطواتِ تطورها في ضوء تطور الأحداث أيام الدولة الزنكية في ظلّ أمرائها الأقوياء، ندخل الآن في الأحداث التي وقعت بعد زوال عصر قوة الدولة الزنكية وانتقالها إلى مرحلةٍ أخرى شهدت النزاعين السياسي والعسكري بينها وبين الأيوبيين القوة الفتية التي ظهرت ونافستها في النفوذ مما تسبب في قيام المعارك بينهما.

بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود لم تعد إدارة الدولة الزنكية كما هي في عهده، فقد أصبحت الأنظارُ شاخصةً نحو أملاكها لا سيما وأن الابن الوحيد للملك العادل نور الدين محمود وهو الصالح اسماعيل[3] لم يتجاوز عمره أحد عشر عاما، لذلك لم يكن له أن يخلف والده في حكم دمشق أو حلب، مما جعل الوصاية عليهِ مطمعاً لأعوان والدهِ ومنافسيه[4].

لقد كان أعوان الملك نور الدين محمود يخشون قدوم أخيهِ سيف الدين غازي أمير الموصل واستيلائِهِ على حلب مما أدى إلى أمرين:

1_ بدأ التنافس بين أعوان الملك العادل نور الدين محمود، إذ كان في حلب في ذلك الوقت شمس الدين بن الدايـة[5] فأرسل الى دمشق يطلب إرسال الملك الصالح اسماعيل إلى حلب ومعه القوة العسكرية الخاصة به، خوفا من أن يأتي سيف الدين غازي الثاني[6] صاحب الموصل ابن عم الملك الصالح، ويتولى الشام وأملاكِ عمّهِ الملك العادل نور الدين محمود، إلاّ أن مربي الملك الصالح والقائم بأمره شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم[7] لم يوافق على ذلك ولم يسمح للملك الصالح اسماعيل بالذهاب الى حلب خوفا من أن يقوم أولاد ابن الداية بتولي امر الملك الصالح، وكسب ثقته، والعودة معه إلى دمشق، واكتساح ابـن المـقدم عـن منصبه في دمشق[8].

2_ كان هدفهم مراسلة صلاح الدين يوسف بن أيوب ودعوتِه للقدوم إلى بلاد الشام وإدارة الدولة بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود وقد تم ذلك فعلاً[9].

أما سيف الدين غازي أمير الموصل، والذي كان من االواجب أن يذهب إلى الشام للسيطرة على أملاكِ عمه الملك العادل نور الدين محمود، فقد اتخذ موقفاً لم يكن متوقعاً، إذ إنه أخذ بمشورة أحد أعوانِهِ وهو عز الدين والذي يعرف بزلف دار[10] وهو من اكابر أُمرائه، فجعله يشعر بالغرور، اذ قال له : **" قد ملكت اكثر من والدك، والمصلحة ان تعود"**[11] فسمع الى رأيه، وعاد إلى الموصل بعد ان اكتفى باستعـادة أملاكه في بلاد الجزيرة الفراتية وهي نصيبين[12] وبلدة الخابور[13] وحران[14] والرها[15]، باستثناء قلعة جعبر[16]. اذ إن هذه المدن كان قد سيطر عليها الملك نور الدين محمود في سنة(566هـ/1171م) بعد امتلاكه للموصل[17]. فنصحه

---

(1) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص158؛ ابن واصل، مفرج الكروب،1 : 221 ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748ه)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(بيروت، دار الكتاب العربي،1410/1990م)،40:39.

(2) ابن الأثير،التاريخ الباهر،ص161.

(3) اسماعيل بن نور الدين بن عماد الدين زنكي، لقبه الصالح وكنيته ابوالفتح، نُصِّب أميرا على حلب وهو صبي لم يبلغ الحلم، ابن العديم ،كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت660هـ /1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت) ،4 : 1822.

(4) المصدر نفسه ،4 : 1822.

(5) هـو رضـيع نـور الـدين ومـن اكـابر امرائـه، وقـد ولاه جميـع امـور مملكتـه ابـن الاثيـر، الكامـل، 10: 11؛ ابـن قاضـي شـهبة،بدر الدين(ت874ه/1470م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود أبو زايد،(بيروت، دار الكتاب الجديد، 1971)، ص122، سمي ابن الداية لان امه كانت داية الاتابك نور الدين محمود، ابن العديم، بغية الطلب، 10 : 4368 .

(6) سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، وهو الابن الثاني للأمير قطب الدين مودود، تزوج من ابنة عمه نور الدين بعد قدومه الى الموصل،ابن خلكان، وفيات الاعيان، 4 : 4_5.

(7) شمس الدين بن المقدم: والده عبد الملك عز الدين عبد الملك المقدم أحد الجندارية الذين كانوا في خدمة السلطان السلجوقي مسعود، فورث والده في منصبِهِ، ابن الاثير، التاريخ الباهر،ص 97؛ ابن العديم،كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت660هـ /1262م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : سامي الدهان، (دمشق، المعهد الفرنسي، 1387هـ / 1968م)، 2 : 215.

(8)ابـن الاثيـر، البـاهر، ص 175؛ الغضـنفري، صـهيب حـازم عبـد الـرزاق، العلاقـات بـين الموصـل وحلـب فـي عصـر الأتابكيـة الزنكية(52_579ه/1127_1183م)، (الموصل، دار نون للطباعة والنشر،1443ه/2022م) ،ص84 .

(9) ابن واصل، مفرج الكروب، 2 :2_ 3 .

(10) زلفندار: عز الديـن محمود الملقب بزلفندار وهو مستشار الأمير سيف الدين غازي الثاني، ابن الاثير، الكامل، 10 : 69.

(11) ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص175.

(12) نصيبين: مدينة من مدن الجزيرة الفراتية، وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها سورٌ قديم كانت الروم قد بنته، فتحها القائد العربي المسلم عياض بن غنم، الحموي، معجم البلدان، 5: 331.

(13) الخابور: اسم لنهر كبير يقع بين رأس العين والفرات، وأصله من رأس العين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2: 382.

(14) حران: قصبة من ديار مضر، على الطريق بين الموصل والشام، بينها وبين الرها يوم واحد، والرقة يومان ياقوت الحموي، معجم البلدان،2: 271.

(15) الرها: مدينـة تقع بين الموصل والشام، سميت بهذا الاسم نسبةً لمستحدثها وهوالرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر، وهي تتمتع بالقوة والحصانة لقدسيتها لدى المسيحيين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3: 120؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 279.

(16) جعبر: مدينة تقع على نهر الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2:165.

(17) ابن الأثير، الباهر، ص175.

المخلصون من حاشية والده بالتوجه إلى الشام وامتلاكها، ومنهم فخر الدين عبد المسيح[1]. وطلب منه ذلك أُمراءِ حلب[2]،إلا أنه لم يستجب لتأثره لهم بكلام زلفدار ايضا، **" فضلا عن أن سيف الدين غازي لم يكن بشجاعه جده عماد الدين ولا عمه سيف الدين غازي الاول و نور الدين الذين تميزوا بالشجاعة والحكمة، فهم مؤسسو الدولة الزنكية وهدفهم بقاؤها واتساعها"**[3]. أما الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود فقد كان متمسكاً بدولةِ والده ورافضاً لتحويلها لأحدٍ غيره هو وأبناءِ عمِه[4]وهذا ما أنشأ الصراع بين الزنكيين والأيوبيين الذين سمحت لهم الظروف بالسيطرة على أملاك الدولة النورية ومنافسة ورثتها والتغلب عليهم. كلُّ ذلك دفع صلاح الدين بن يوسف للتوجه إلى بلاد الشام، فعند سماعِهِ بوفاة الملك العادل نور الدين محمود، وصل صلاح الدين بن أيوب إلى دمشق في شهر ربيع الآخر من العام (570ه/1175م) وتسلم قلعتها[5]. حينئذٍ سار أمير الموصل سيف الدين غازي ومعه أخوهُ عز الدين مسعود[6] بن قطب الدين لقتال الأيوبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وقد كان ذلك التنافس سياسياً لكنه تطور إلى الطابع العسكري، وذلك في معركتين الأولى معركة قرون حماه[7]، في (19رمضان من العام 570هـ) انتصر فيها الأيوبيون بقيادة صلاح الدين الأيوبي. ومن نتائجها:

1_ أصبح الثقل السياسي لصلاح الدين بن أيوب أكبر من ذي قبل.

2_ بدأت الاستعدادات من قبل الطرفين للمعركة الحاسمة التي تحقق النصر لأحدهما.

إلاّ أن الوضع السياسي لم يحسم لأحد.

ثانياً_معركة تل السلطان.

1_ دوافع المعركة وظروفها.

بعد انتهاء معركة قرون حماه وهي المعركة الأولى بين الزنكيين والأيوبيين في العام (570ه/1175م) أراد سيف الدين غازي إصلاح أحوال أمارتِهِ، وتهيئتها، ولا سيما إعادة تنظيم قواتِهِ، وعقد الصلح مع أخيهِ عماد الدين الثاني[8]، إذ كان دائماً على خلاف معه[9]. بعدها توجه إلى ابن عمه الملك الصالح في حلب والتقى به في العام(571هـ/1176م)، وأتمَّ استعداداتِهِ للمواجهة[10]، وتم جمع وتنظيم قوات الموصل مع قوات حلب[11]. أما في الجانب الأيوبي، فقد أرسل صلاح الدين بن أيوب إلى مصر يطلب إمداده بقواتٍ منها[12]. وبعد الاستعدادات من قبل الجانبين توجها إلى موقع تل السلطان[13] ودارت بينهما معركة عرفت بمعركة تل السلطان نسبةً إلى اسم الموقع، وقد كانت المعركة تختلف عن غيرها من المعارك من حيث أهدافها ونتائجها وكما سيتضح من خلال مجريات البحث.

لقد قامت المعركة بعد استعداداتٍ عسكرية ومعنوية من قبل الطرفين، وكانت الاستعدادات العسكرية مختلفةً ما بين الجانبين وما حققته من حيث المقاتلين والمعدات العسكرية من سلاحٍ وخيول، أما المعنوية فشملت الاستعداد النفسي إذ إن الطرفين يعلمان أنها المعركة الحاسمة والغلبة لم تحسم لصالحه، لكن من الجدير بالذكر أن الامكانات العسكرية لصلاح الدين أصبحت أفضل مما كانت عليهِ قبل معركة قرون حماه، وذلك لأنه تمكن من **" امتلاك المزيد من المدن في الشام مما ساعد على استقراره وقواته في المنطقة"**[14]، في حين أصبحت إمكانات الزنكيين على العكس من ذلك تماماً، فالملك الصالح اسماعيل أصبح مقيداً في حلب بتأثير اتساع نفوذ صلاح الدين، أما سيف الدين غازي فقد أصبحت قواته مشتتة بعد تغلب قوات صلاح الدين عليها بقرون حماه، لذلك فإن استعداده للمعركة كان أصعب من استعداد خصمِهِ لها[15].

---

(1) فخر الدين عبد المسيح: كان نائباً للأمير قطب الدين مودود، ووصياً على أبنهِ سيف الدين غازي بعد وفـــاته و كان سببا في توليته امارة الموصل،ابن الأثير، الباهر، ص146.

(2) ابن الاثير، الكامل، 10 : 65.

(3) الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب، ص 85.

(4) المرجع نفسه، ص88_89.

(5) ابن تغري بردي،جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت 874هـ /1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1961م)، 6 : 24.

(6) ابو الفتح وابو المظفر مسعود بن قطب الدين، وهو مقدم جيوش الموصل في ايام اخيه سيف الدين، ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5 : 203.

(7) قرون حماه: معركة وقعت في موضع بالقرب من حماه يدعى(قرون حماه)، فسميـــت معركة قرون حماه، ابن العديم، زبدة الحلب، 3 : 22.

(8) عماد الدين الثاني: أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين بن قطب الدين بن عماد الدين زنكي، المعروف بصاحب سنجار، الابن الأكبر للأمير قطب الدين مودود، كان من المؤمل أن يخلف أباه قطب الدين في إمارة الموصل، إلاّ أن فخر الدين عبد المسيح نائب قطب الدين نصحه بجعل ابنه الثاني سيف الدين غازي أميراً على الموصل من بعده بدلاً عن عماد الدين، مما جعله حاقداً على أخويه سيف الدين غازي وعز الدين مسعود، وكان دائماً يتحالف مع السلطان صلاح الدين الأيوبي ضدهما، ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2 : 330؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 3: 23.

(9) المصدر نفسه، 3: 23؛ الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب،ص89.

(10) ابن واصل، مفرج الكروب، 2 : 36.

(11) المصدر نفسه، 2 : 38 ؛ محمد سهيل طقوش ،تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام،(بيروت، دار النفائس، 1999م)، ص 206.

(12) ابن واصل، مفرج الكروب، 2 : 38.

(13) تل السلطان: نسبةً إلى موقع تل السلطان، وكان في الأصل يعرف بالفيدق، وبعد نزول السلطان الب أرسلان فيهِ أصبح يعرف بتل السلطان، وفيه وقعت المعركة المعروفة بمعركة تل السلطان، أبن العديم،بغية الطلب،4 : 1977م؛ الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب،ص90.

(14) المرجع نفسه، ص91.

(15) المرجع نفسه،ص91.

بدأت المعركة في العاشر من أيلول من العام (571ه)،وكما سبق ذكرهُ فأن المعركة تختلف عن غيرها بأحداثها ونتائجها، ففي بداية المعركة كانت الغلبة للقوات الزنكية وهي قوات الموصل وحلب، إذ كانت ميمنة الجيش الزنكي بقيادة مظفر الدين كوكبوري[1] فأجهزت على ميسرة جيش صلاح الدين الأيوبي، وبشكلٍ مفاجيء أنقض صلاح الدين الأيوبي على الزنكيين ودحرهم وأخذ منهم أسرى كثيرين، هكذا وصفت المعركة وقد ذُكرت بشكلٍ مختصرٍ وليس كغيرها من المعارك التي قد تصل أحداثها إلى صفحات، وقد وردت في المصادر التاريخية بشكلٍ مقاربٍ لهذا الوصف، وقد يكونُ هناك اختلافٌ في آراء المؤرخين يتضح من خلال نصوصهم.

ولتوضيحِ هذا نطّلِع على النصوص التي ذكرت المعركة في كلّ مصدر من المصادر التاريخية على حدة. إلاّ أن سبب تغلب قوات صلاح الدين الأيوبي بشكلٍ مفاجيء ودون ذكر سبب في ذلك يثير الاستغراب. كما تميزت المعركة وكما ورد في النصوص، بذكر أسماء الأمراء العسكريين ومواقعهم كالميمنة والميسرة وكان هذا ربما لتغطية النقص في وصف المعركة ومادتها وكما سنرى من خلال المصادر التاريخية.

2_المعركة من خلال المصادر التاريخية:

لقد كان لمعركة تل السلطان نصيبٌ في المصادر التاريخية، وتلك المصادر صنفان:

الأول: الكتب المختصة بدراسة الدولة الزنكية، وهي:

1_ الكتب التي تناولت الموصل وحلب لانهما عاصمتا الدولة الزنكية في بداية قيامها، ومنها كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم.

2_الكتب التي تناولت سيرة الملك العادل نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين الأيوبي معاً، إذ إن الكتب التي تناولت سيرة الملك العادل نور الدين محمود وحده لم تذكر المعركة لأنها قامت بعد وفاتِه، ومن الكتب التي تناولت سيرة نور الدين وصلاح الدين (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)، ويذكر الكتاب المعركة في سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي في بداية عهده، وكتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد، إذ اختص بسيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي، مع ذكرٍ سريعٍ لسيرة الملك العادل نور الدين محمود في البداية.

الثاني: كتب التاريخ الإسلامي العام(الحوليات): التي تذكر الأحداث التاريخية كُلٌّ في زمانهِ وحسب المنهج الحولي أو التسلسل التاريخي. ومنها: الكامل في التاريخ لابن الأثير، وهو أبرز مؤرخي الحروب الصليبية و الأقرب إلى الحقبة التي قامت فيها المعركة، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها. وتم تناولها حسب سنوات وفاة مؤلفيها. وعلى أيةِ حال فإن ما يهمنا هو الصورة التي ذكرها المصدر التاريخي عن المعركة بغض النظر عن صنفه.

لقد ذكر عز الدين ابن الأثير(ت630ه/1233م) في كتابِهِ الكامل في التاريخ المعركة بشكلٍ مختصر لا يتناسب مع مكانة معركةٍ مهمة وحاسمة أنهت دولة في الشام، وأقامت دولةً أخرى مكانها، ولم يذكر مايدل على معركة ولم يذكر انتصاراً أو هزيمة قائلاً:

" فلما أصبحوا اصطفوا للقتال، فجعل زلفندار، وهو المدبر للعسكر السيفي، أعلامهم وهم في وهدةٍ من الأرض، لا يراها إلاّ من هو بالقربِ منها، فلما لم يرها الناس ظنوا أن السلطان قد انهزم، فلم يثبُتوا، وانهزم، ولم يلوُ أخٌ على أخيهِ، ولم يُقتل بين الفريقينِ مع كثرتهم غيرُ رجلٍ واحد"[2].

أمّا في كتابِهِ الآخر التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، وهو من كتب التاريخ المحلي الخاصة بالدولة الزنكية في الموصل،فلم يذكر المعركة أصلاً علماً أنها معركة مهمة في التاريخ الزنكي، ومن المرجح أنه لم يذكرها لأن الزنكيين لم ينتصروا فيها، بل اكتفى بالقول وفي كلامِهِ عن السلطان صلاح الدين الأيوبي: **" وفي آخر الأمر اصطلح هو وسيف الدين والملك الصالح كلٌّ منهم على ما بيده بعد حروبٍ ومخامرات قد أتينا على ذكر ذلك في المستقصى في التاريخ"**[3]. فهنا قد ذكرت المعركة بشكلٍ لا يتناسب مع حجمها، كمعركة انقلبت فيها موازين القوى بين طرفيها، كما يذكر أنه لم يُقتل فيها غيرُ رجلٍ واحد، فما السبب في ذلك؟.

أما بهاء الدين بن شداد(ت632هـ/1235م) فوصف المعركة بسطرين، إذ قال عنها: **" فالتقى العسكران وتصادما، وجرى قتالٌ عظيم، انكسرت ميمنة صلاح الدين بابن زين الدين مظفر الدين، فإنه كان في ميمنة سيف الدين وحمل السلطان بنفسهِ فانكسر القوم، وأسر منهم جمعاً عظيماً من كبار الأمراء، منهم فخر الدين عبد المسيح فمنَّ عليهم وأطلقهم"**[4].

أما البنداري(ت643ه/1246م) في كتابه سنا البرق الشامي، وكان يختص بتاريخ السلطان صلاح الدين بن أيوب السياسي وهو مختصر لكتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني(ت597ه/1201م)، وكان يروي الأخبار على لسان الأصفهاني فقد بدأ مادة الكتاب

(1) مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك والده نائب قلعة الموصل للأعوام (539_563)، ولد كوكبوري في الموصل في السابع والعشرين من محرم 549هـ، سبط ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق : شوقي شعث و فالح البكور، دار القلم العربي، (حلب، 1417ه/1996م)، 1 : 393.

(2) المصدر نفسه، 10: 75.

(3) التاريخ الباهر، ص177.

(4) النوادر السلطانية، ص95.

بوصول الأصفهاني إلى دمشق في العام(562ه/1167م)[1] ودخولِه في خدمة الملك العادل نور الدين محمود[2]. وبعد وفاة الملك نور الدين محمود أصبح من المقربين للسلطان صلاح الدين كما سبق ذكره، وتَتَبُّع الأحداث التاريخية بتسلسلها الزمني، بعد ذكر خبر توجه السلطان صلاح الدين إلى دمشق وامتلاكها.

أمّا فيما يخص معركة تل السلطان فقد كان أسلوبه ونّصّهُ مختلفاً عن غيرِهِ، إذ كتب النص بطريقة السجع والقافية، والنهاية الموحّدة للجملة، وكان في وصفِه لأحداث المعركة استصغارٌ من الزنكيين بالرغم من احتواءِ صفوفهم على الأمراء الشجعان، في حين وصف القوات الأيوبية بالشجاعة والشراسة في القتال، وكان تصويرُهُ للمعركة مختلفاً عن المصادر الأخرى، إذ اتسم بوصف القوّتين بشكلِ نثر يتضمن مدحاً وذماً، ولم يصف أحداث المعركة إلاّ بالشيء القليل، واتضح هذا من خلال النص الآتي ذكره : **" ..وانقضّوا بشهب الشهب، وسلّوا من النبل الجِعاب ومن الزعف العباب وصُفَّ سيف الدين غازي صاحب الموصل أمام قلبِهِ وتراكمت قُدّامَهُ سحب صحبِه وقد فوّق إليهم السهم كأنَّه مستوىً بين القوسِ وشمس برج الأسد للفرس يخطب كفو الكريم لإقامةِ العرس ملابس وللجمالِ جميل اللبس"**[3].

فالنص خاص بالبنداري وهذا دليلٌ على أنه يميل للأيوبيين من خلالِ تصويرهم بالصورةِ الحسنة، فضلاً عن أنه كان يتكلم بلسان العماد الأصفهاني الذي كان ملازماً للجيش الأيوبي في المعركة، فقد خصص للمعركة حجماً كبيراً من الكتاب لكنه كان نصاً إنشائياً وليس وصفاً لأحداث المعركة، إذ قال عن أحداثها: **" وقويت أطماعهم بظفَر الميمنة وقتلَ من لقوهُ في المقدمة فحملوا حملةً واحدة راكضةً إلينا طاردة والسلطانُ واقفٌ صفة ألفٌ بألفه، واثقٌ بزحفِه، ...وكانت حملتهم من مسافةٍ بعيدة، وشقةٍ مديدة، فقال لأصحابِهِ تثبتوا وقفوا ودعوهم يتعبروا ويركضوا وينقضوا قِواهم واذا قربوا منا أبعدناهم، وإذا وصلونا قطعناهم فنحن نعطيهم الأشواط، ونوليهم الافراط، وهم يصلون متفرقين فإذا دنوا من بنيانِ صفِنا المرصوص انقضَّ عليهم جِداره،ولفح وجوههم أواره.."**[4]، ويستمر قائلاً: **" وكانت حملتهم وقدام الألوف مائون وامام المائين عشرات وقد سبقتنا آحادٌ منتشرات، فأما حملتهم وصدمتهم عكستهم وأركستهم وردت أولهم على آخرهم وسيارهم إلى سايرهم، ولم يعرف ساقيهم ما تم على مقدمهم، ووقع التخاذل والتفاشل في ميمنتهم وميسرتهم، وركب السلطان أكتافهم حتى أخرجهم من خيامهم ووكل بسرادق سيف الدين غازي عز الدين فرخشاه، وركض وراءه حتى علم أنه تعداه، ووقع في الأسر جماعة من الأمراء المقدمين ثم مَنّ عليهم بالخلع والتشريفات بعد نقلهم إلى حماه، وأطلقهم وأعتقهم بعد أن استرقّهم"**[5]. فهنا نرى البنداري في نصوصِهِ لم يوضح سبب تغير نتيجة المعركة من صالح الزنكيين إلى الأيوبيين، فضلاً عن أن ألفاظه مبهمة وغيرِ واضحة في نصوصه. ومن الجدير بالذكر أننا لم نتناول كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني لأن الجزأين الثالث والخامس منه متوفران فقط أما الأجزاء الأول والثاني والرابع فمفقودة، ومادتنا توجد في الجزء الثاني. وكان البنداري من خلالِ وصفِهِ للأخبار يميل للأيوبيين دون الزنكيين واتضح ذلك من خلالِ نصوصِه.

أما سبط ابن الجوزي (ت654هـ) في كتابه مرآة الزمان في تاريخ الاعيان فقد تعمق في تفاصيل ما قبل المعركة وشيءٍ من تفاصيلها أكثر من غيرهِ من المؤرخين وقد ذكر بعض الأحداث محاولاً تبرير التحول في تفاصيل ونتائج المعركة وذكر مواقع كل جماعة من الطرف الزنكي كالميمنة والميسرة والوسط ومواقع الجانب الأيوبي كموقع صلاح الدين وقدوم قسم من قوات صلاح الدين الأيوبي من مصر مما عمل على مباغتة الطرف الزنكي، وهي معلومة لم نجدها في مصادر أخرى. لقد كان سبط ابن الجوزي (654هـ) من خلالِ نقله للخبر يميل الى السلطان صلاح الدين، وهذا ليس مايميزه هو فقط، لكن نصَّه امتاز بأنه نقل خبر المعركة بدءًا بالجانب الأيوبي، وبهذا فهو مختلِفٌ عن معظم المصادر التي ذكرت المعركة، فضلاً عن ذكرِهِ لأسماءٍ لم يذكرها غيرُهُ من المؤرخين، لا سيما في الجانب الأيوبي، إذ قال: **"وكان يوم الخميس عاشر شوّال، وعلى ميمنةِ صلاح الدين شهاب الدين محمود خالُهُ، وعلى ميسرتِهِ صاحب بُصرى، وهو في القلب، وكان في ميمنة المواصلة مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل، وفي الميسرة الحلبيون، وسيف الدين في القلب، وكان صلاح الدين قد وقف على تلٍ عالٍ، وحمل مظفر الدين فطحن ميسرة صلاح الدين، وحمل الحلبيّونَ على ميمنته فتعتعوها، فنزل صلاح الدين من التل، ورأى أن يباشر الأمرَ بنفسهِ وإلّا اختلَّ الامر، فساق عليهم، واتفق وصول العساكر المصرية، في تلك الساعة مع تقي الدين عمر، وعز الدين فرخشاه، وناصر الدين محمد بن شيركوه، فهال المواصلة ذلك، وولوا منهزمين"**[6]. فهنا يقودنا النص إلى تساؤلاتٍ ثلاث:

الأول: ما سبب وقوف السلطان صلاح الدين على التل واعتزاله المعركة، في حين كان نظيره الزنكي سيف الدين قائد الميمنة وضمن المعركة؟

الثاني: يذكر سبط ابن الجوزي أن مظفر الدين قائد ميمنة الزنكيين قد طحن ميسرة الأيوبين، وحمل الحلبيون على ميمنته فتعتعوها، يعني أن أغلب الجيش قد قضي عليه، فكيف تمكن السلطان من تغيير الكفة لصالحِهِ؟

---

(1) البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت 643هـ/1246م)، سنا البرق الشامي، اختصار الفتح بن علي البنداري من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق: دكتورة فتحية النبراوي استاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة الأزهر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1979م)، ص17.

(2) المصدر نفسه، ص22.

(3) المصدر نفسه، ص95.

(4) البنداري، سنا البرق الشامي، 95_96.

(5) المصدر نفسه، ص96.

(6) شمس الدين ابو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي(ت654هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان،(حيدر آباد، مطبعة دار المعارف العثمانية، 1370هـ / 1951م)، 21: 237.

الثالث: إذا كانت المعركة في هذه الشراسة فكيف تكون خسائرها لا تتجاوز رجُلاً واحداً فقط كما ذكر ابن الأثير في الكامل وكما سبق ذكره قائلاً: **" ولم يُقتل بين الفريقينِ مع كثرتهم غيرَ رجلٍ واحد"**[1]. أمّا إذا أردنا مقارنة كلام سبط ابن الجوزي بكلام البنداري تحديداً فهناك تناقُضٌ كبير، إذ إن البنداري ذكر أن الزنكيين لم يكن لهم دورٌ قتالي أبداً وأن السلطان صلاح الدين الأيوبي قضى عليهم في الحال، في حين يذكر سبط ابن الجوزي في كلامهِ عن المعركة وكما سبق ذكرُهُ: **" وحمل مظفر الدين فطحن ميسرة صلاح الدين، وحمل الحلبيّونَ على ميمنته فتعتعوها"**، فهذا تناقُضٌ كبير في وصف المعركة.

أما ابن العديم(ت660هـ) في كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب فقد كان وصفه للمعركة بشكلٍ لا يختلفُ كثيرا عن نص ابن الأثير، إذ ذكر دور مظفر الدين بن زين الدين قائلاً: **"فلما التقى الفريقان،ظنَّ أكثرُ الناس أن سيف الدين قد انهزم، لأنَّهم لم يرَوا الأعلام، فانهزموا بعد أن كان مظفر الدين بن زين الدين_وهو في الميمنة_ قد كَسرَ ميسرة الملك الناصر وولوا الأدبار وأُسر منهم جماعة، منهم: فخر الدين عبد المسيح، وأمسك عن تتبع العسكر، فلم يُقتل غير رجلٍ واحد وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال، سنة إحدى وسبعين وخمسمائة"**[2]. فهذه العبارة القصيرة تتضمن حدثين متناقضين، فالذي **"كَسَرَ ميسرة الملك الناصر"** أي انتصر عليه، وهو مظفر الدين كوكبوري من القوات الزنكية، وكان قائد الميمنة في القوات الزنكية أما تكملة العبارة **" وولوا الأدبار وأُسِر منهم جماعة فأطلقهم الملك الناصر"** فالذين ولوا الأدبار هم الزنكيون فهذا يعني أن أحداث ونتيجة المعركة تغيرت فجأةً لصالح الأيوبيين، دون أن يذكر المؤرخون السبب. فالزنكيون هُزموا وأسَرتهم قوات الملك الناصر[3] وأُطلِقَ سَراحهم. فما سبب هذا التغير السريع جداً في أحداث المعركة؟ وماهي أسبابه؟ وما هو الشيء الذي حصل لتنقلب نتيجة المعركة إلى العكس، وما هو سبب إطلاق سراح الأسرى؟. في النص المذكور صوّر ابن العديم معركة تل السلطان، ولم يذكر أي تفاصيل أخرى عن المعركة ولكنه يؤكّد أنها انتهت ويذكر ما حدث بعدها من خلال النص الآتي: **" ونزل الملك الناصر وعسكرهِ، في بقية ذلك اليوم في خيم القوم، واستولوا على جميعِ ما فيها، وفرَّق الاصطبلات والخزائن، ووهب خيمة سيف الدين عز الدين فروخ شاه. ووصل سيف الدين إلى حلب، وترك أخاه عز الدين في جماعة من العسكر، وعبر الفرات، وسار إلى الموصل"**[4]. فهذان النصان يغطيان المعركة وما حدث بعدها. علماً أن كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب من كتب التاريخ المحلي التي تختصّ بتاريخِ حلب وما وقع فيها من أحداثٍ بتفاصيلها.

أما أبوشامة المقدسي(ت665هـ) في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، فقد اهتم بأحداثِ ما قبل المعركة والتحضيرات لها أكثر من أحداثها، إذ كانت صفحةً كاملة[5].

في حين كان النص الخاص بالمعركة عبارة عن خمسةِ سطور، وهو: **" وأصبح القومُ على مصافٍ، وذلك بكرة الخميس العاشر من شوال، فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتالٌ عظيم، وانكسرت ميسرة السلطان بابن زين الدين مظفر الدين، فإنه كان في ميمنةِ سيف الدين، وحمل السلطانُ بنفسه، فانكسر القوم، وأُسِرَ منهم جمع عظيم من كبار الأمراء[6]، منهم فخر الدين عبد المسيح، فمنَّ عليهم وأطلقهم"**[7]. وهذا النص مطابقٌ لنص ابن شداد في النوادر السلطانية، وعلى الأرجح أن أبي شامة قد نقله من ابن شداد، وهنا أيضاً يكون التغيّر في نتيجة المعركة غامضاً دون ذكر الأسباب.

لقد كان أسلوب أبو شامة في الروضتين أنه ينقل النصوص من غيره من المؤرخين مع ذكر أسمائهم، ومن ذلك العماد الأصفهاني، إذ وَصف التهيّؤ للمعركة من خلالِ قولِهِ: **" وقال العماد ورحلنا في شهرِ رمضان من دمشق مستأنفين، فعبرنا العاصي الله طائعين، وإلى المسار مسارعين، فلما عرجنا على بلد، ولا انتظرنا ما وراءنا من مدد، ونزلنا الغسولة[8] وجزنا حماة، وخيمنا في مرج بو قبيس وجاء الخبر أنهم في عشرين ألف فارس سوى سوادهم، وما وراءهم من أمدادهم، وأنهم موعودون بالفرنج من النجدة، وأنهم يزيدون في كلِّ يومٍ قوةً وشدة، وما كان اجتمع من عسكرنا سوى ستة آلافِ فارس. فرتّب السلطان عسكرهُ، وقوّى بقوة قلبِهِ قلبَهُ، وأمدَّ اللهُ بحزب ملائِكتِهِ حزبه. ولما وصل المواصلة[9] إلى حلب، أطلقوا من كان في الأسر من ملوك الفرنج، منهم أرناط أبرنس الكرك، وجوسلين خال الملك، وقرروا معهم أن يدخلوا من مساعدتهم في الدرك. فلما عيدنا وصل إلى السلطان الخبر بوصولهم إلى تل السلطان،فعبرنا العاصي عند شيزر[10]ورتّبنا العسكر، وأعدنا الأثقال إلى حماة"**[11]. كان هذا وصف ما قبل المعركة، ومن الملاحظ من خلال إحدى العبارات **وهي " وأمدَّ اللهُ بحزب ملائِكتِهِ حزبه"** فهو من خلال هذه العبارة يقصد أن الله أمد السلطان صلاح الدين بملائكتِهِ.فهذا يدل على أشياء وهي:

---

(1) الكامل في التاريخ، 10: 75.
(2) زبدة الحلب، 3: 27.
(3) حينما كان صلاح الدين الأيوبي في مصر أطلق عليهِ العاضد الفاطمي لقب الملك الناصر قبل أن يلقب بالسلطان، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 142_143.
(4) زبدة الحلب، 3: 27.
(5) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي ابو شامة، (ت665هـ/1267م) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق : ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م)،2: 260_261.
(6) يلاحظ ذكر تغيّر نتيجة المعركة فجأةً دون ذكرِ أيّ سبب.
(7) الروضتين، 2: 261.
(8) الغسولة: من قرى دمشق، وهي منزل للقوافل فيهِ خان على بعدِ يومٍ من حمص بين حمص وقارا، الحموي، معجم البلدان، 4: 232.
(9) يقصد بالمواصلة القوات الزنكية الموصلية.
(10) شيزر: كورة تقع بالقرب من المعرة في حلب، وفيها قلعة بينها وبين حماه يوم، يجري في وسطها نهر الأردن، الحموي، معجم البلدان، 3: 434.
(11) الروضتين، 2: 262.

1_ انحياز أبي شامة للأيوبيين.
2_المبالغة في وصف المعركة.

وقد كان هذا الوصف وصفاً خاصاً بأبي شامة فقط ولم ينسب لمؤرخٍ آخر. فضلاً عن ذلك أننا إذا قارنا نص العماد الأصفهاني الذي استخدمه أبو شامة مع رأي ابن الأثير في معركة تل السلطان نجد أن كلامه فيهِ مبالغة، فيما يخص عدد قوات سيف الدين غازي في معركة تل السلطان، إذ قال **:" وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامي في الدولة الصلاحية أن سيف الدين كان عسكره في هذه الوقعة عشرين ألف فارس.."** في حين يذكر ابن الأثير عن عددهم: **" فاجتمعت له عساكر كثيرة بلغت عدتهم ستة آلاف فارس،.."[1]**. وهذا يعني أن أبا شامة زاد عدد الزنكيين أربعة عشر ألف مقاتل، فكلام ابن الأثير هو الأقرب إلى الصواب لأنه الأقرب إلى الحدث، وهذا أمرٌ طبيعي إذ إن العماد الأصفهاني وأبا شامة يميلان إلى السلطان صلاح الدين، فالأول كان كتابه يتناول معارك السلطان وكان قد ذكر أخبار انتصاراته في كتابِهِ البرق الشامي فضلاً عن أنه من المقربين منه إذ إنه وبعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحل إلى حلب وتقرب من السلطان صلاح الدين الأيوبي وكان محاصراً لها في العام (570ه**)" فمدحه، ولزم ركابه، فاستكتبه، وقربه، فكان القاضي الفاضل[2] ينقطع بمصر لمهمات، فيسد العماد في الخدمة مسدَّهُ، وصار العماد معاون القاضي الفاضل في كل الأمور، واستعاد مقامه القديم، وصار كاتب سر صلاح الدين"**[3] وكان كالمستشار له[4]، أما الثاني وهو أبو شامة، فقد كان السلطان موضوعاً لكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ويحتل القسم الأكبر من كتابه. فهذا الإختلاف في ذكر العدد يقودنا إلى أن وصف المعركة غير دقيق بغض النظر عن الاختلاف في النصوص.

أماّ ابن واصل(ت697هـ) وهو مؤرخ الدولة الأيوبية في كتابِهِ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب وهو من كتب السِيَر والتراجم التي تناولت سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي ونسبِهِ منذ بداية دولتِه، فقد تناول المعركة أيضاً لكونِها الطريق الأول لقيامِ الدولة الأيوبية وتنصيبِهِ سلطاناً، وقد ذكرها بنصٍ قريبٍ من نصّ ابن الأثير إلاّ بعض الأختلافات، إذ أضاف كلماتٍ لم تكن موجودة في نصِّ ابن الأثير، قائلاً:**" فلمّا أصبحوا يوم الخميس اصطفّوا للقتال، وكان في ميمنةِ سيف الدين مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك_صاحب أربل_، فكسر ميسرة السلطان، ثم حمل السلطان بنفسِهِ فانكسروا بين يديه، فلم يقف منهم أحدٌ على أحد، فأسر جماعةً من أمرائهم الأكابر، منهم فخر الدين عبد المسيح، فمنّ عليهم وأطلقهم، واستولى السلطان على مخيمهم وسرادق سيف الدين غازي وابن أخيهِ عز الدين فرخ شاه"**[5]. من الملاحظ أن النص بشكلٍ عام نفسه لدى ابن الأثير، لكنه يحتوي على كلماتٍ أخرى مضافة والسبب في ذلك أن ابن واصل على الأرجح قد نقله من ابن الأثير، كونه عاصر المعركة والحقبة، ففضل ابن واصل أن ينقل النصوص منه لمصداقيتِهِ، لكنه عاش بعده وحصل على حقائق أكثر منه أضافها إلى النص.

أما كتاب عيون الروضتين في أخبار الدولتين،لأبي شامة وهو مختصر لكتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ومكون من قسمين: القسم الأول خاص بالدولة النورية، والثاني خاص بالدولة الصلاحية، فذكر المعركة بشكلٍ مختصرٍ جداً مع سوابقها ودون أن يذكر لها اسماً، من خلال النص الآتي: **" وجاء رسول الفرنج يطلب الهدنة فأجابهم السلطان، وكان العامُ جدباً، فأذن للعساكر المصرية في الرحيلِ إلى بلادهم. وسار معهم القاضي الفاضل، واعتمد على العماد الكاتب فيما كان بصددهن وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل/ وعلى الصيد. ثم أنفذ في طلب العسكر المصري بسبب أن المواصلة أنكروا على الحلبيين مصالحتهم للسلطان، وساروا جميعاً لقتال السلطان، فالتقى بهم فكسرهم ثانياً. ثم فتح جملة من البلاد التي حوالي حلب، منها بزاعا[6] ومنبج[7] وعزاز[8]"**[9].

فهنا ذكر أبو شامة المعركة بشكلٍ مختصرٍ أكثر من غيرهِ، حتى عن كتابِهِ الشامل الروضتين في أخبار الدولتين، فقد اختلف عن المؤرخين الآخرين بأنه حسم المعركة الحاسمة والتي لاشك بأنها كانت مليئة بالمنازلات والكر والفر بعبارة: **" فالتقى بهم فكسرهم ثانياً"** هذه العبارة التي وصف بها أبو شامة معركة تل السلطان التي كانت معركةً أنهت دولة وأقامت دولة في محلها، فهي معركة تحتمل المنازلات العديدة، فضلاً عن أن أبا شامة نفسه ذكر المعركة في كتابِهِ الروضتين وكما سبق ذكرُهُ قائلا: **" فالتقى العسكران وتصادما، وجرى قتالٌ عظيم، وانكسرت ميسرة السلطان بابن زين الدين مظفر الدين، فإنه كان في ميمنةِ سيف الدين"**[10].

وكان هذا للأسباب الآتية:

الأول: انحياز المؤرخ للأيوبيين.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، 10: 74_75.
(2) القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني، المعروف بالقاضي الفاضل: كاتب لدواوين الدولة الأيوبية ومستشار للسلطان صلاح الدين الأيوبي، شاعر وكاتب وأديب وسياسي، ومن أئمة الكتابة، ومن الموثوقين لدى السلطان، ابن واصل، مفرج الكروب، 2: 65؛ القاضي الفاضل، مقالة متاحة على الرابط الآتي: ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%.
(3) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت،مؤسسة الرسالة، 1401ه/1981م).، 21 :346_348؛ علي محمد الصلابي،مكانة العماد الأصفهاني ودوره في الدولة الأيوبية، الحلقة: الخمسون، ذو القعدة 1441ه/تموز يوليو 2020م).
(4) البنداري،سنا البرق الشامي، ص1.
(5) مفرج الكروب، 2: 39.
(6) بزاعة : بلدة من أعمال حلب بينها وبين منبج، الحموي، معجم البلدان، 1: 486.
(7) منبج : مدينة غرب الفرات تتوسط المسافة بينه وبين حلب، وهي بلدة واسعة ذاتُ خيراتٍ كثيرة، الحموي، معجم البلدان، 5: 238.
(8) عزاز : بلدة تقع إلى الشمال من حلب، توصف بانها خالية من الحشرات ومناخها طيب، وماؤها عذب، الحموي، معجم البلدان، 4: 133.
(9) أبو شامة،شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت665ه/1267م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: أحمد البيسومي، (دمشق، منشورات دار الثقافة، 1992)، 2: 26.
(10) الروضتين، 2: 261.

الثاني: لم تكن المعركة ذات أهمية لديه بقدر كسب ود الدولة الأيوبية والتي كانت قائمة على أشدِّها، في حينِ أن الدولة الزنكية انتهت منذ العام(630ه/1233م) على يد بدر الدين لؤلؤ[1].

الثالث: كان تصنيف الكتاب بعد انتهاء الدولة الزنكية.

أما صاحب حماه وهو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل المعروف بأبي الفداء(ت723ه/1323م) وفي كتابه المختصر في أخبار البشر، فذكر نتيجة المعركة فقط دون أحداثها من خلال النص الآتي:

" في هذه السنة: عاشر شوال، كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بتل السلطان، فهرب سيف الدين غازي والعساكر التي كانت معه،..."[2]. فهنا لم يذكر أبو الفداء أيّاً من تفاصيل المعركة، فقط ذكر الهزيمة كما أنه كان في النص نوعٌ من الانحياز الى السلطان صلاح الدين وذلك من خلال إطلاق لقب السلطان عليهِ دون إطلاق لقب أمير الموصل أو أتابك على سيف الدين غازي، والسبب في ذلك ربما لأن أبا الفداء كان من أحفاد نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين، فهو: **" الملك المؤيد عماد الدين أبوالفدا اسماعيل ابن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الفتح محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة شاهان شاه ابن السلطان الملك الأفضل أبي الشكر نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب...."**[3].

أما ابن كثير(ت774ه/1373م) في كتابه البداية والنهاية فكان يتكلم لصالح السلطان صلاح الدين، ولكنه لم يطلق أسماً على المعركة، وفي كلامِهِ عنها اختصر ما كان مختصراً، إذ قال: **" فاجتمع الفريقان وتداعَوا للنزال، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال، فاقتتلوا قتالاً هائلاً، حتى حمل السلطان بنفسِهِ الكريمة، فكانت بإذن الله الهزيمة، فقتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة.."**[4]، وعلى الارجح أن طبيعة كتاب البداية والنهاية من خلالِ ذكر أحداث التاريخ الإسلامي بأكملها جعلته لم يُعر أهمية للمعركة فضلاً عن أن حياة المؤرخ كانت بعيدة عن زمن المعركة.

أما عبد الرحمن ابن خلدون وهو من المؤرخين المتأخرين عن الحقبة التي قامت فيها المعركة، إذ توفي في العام (ت808ه/1406م)، فقد أطلق على موقع المعركة اسم تل الفحول، ولم يطلق عليها اسم تل السلطان، وهو الاسم الذي عرفت بهِ في نصوص كلّ من كتب عنها وقد ذكر الانتصار فقط أيضاً قائلاً:**" فلقيهم بتل الفحول وانصرفوا راجعين إلى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها في جمعٍ من العساكر وعبر الفرات إلى الموصل يظُنُّ أن صلاح الدين في اتباعه...."**[5]. فالنص الخاص بابن خلدون يختلف كل الاختلاف عن بقية النصوص حتى في اسم المعركة، وهذا يدل على عدم اهتمامه بالمعركة بل أنه ذكرها كأي خبر من اخبار العام(571ه) لذلك فهو لم يذكر اسمها كما ذكره غيره من المؤرخين.

أما ابن تغري بردي(ت 874هـ/1470م) في كتابهِ النجوم الزاهرة و مع أنه عاش في حقبةٍ متأخرة عن عصر الدولة الزنكية، لكنه لجأ إلى نص ابن الأثير وأخذ من كتابِهِ الكامل في التاريخ فقد ذكر المعركة كما ذكرها ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ بعد ذكر تفاصيل المعركة التي سبقتها وهي قرون حماه، ذكر خبر معركة تل السلطان كالآتي:**" وتصافوا بكرة يوم الخميس العاشر من شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وجرى قتالٌ عظيم، وانكسرت ميسرة صلاح الدين من مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل فإنه كان على ميمنة سيف الدين غازي، فحمل صلاح الدين بنفسه على عسكرسيف الدين غازي حملةً شديدة فانكسر القوم، وأسر منهم جماعة من كبار الأمراء، فمنّ عليهم صلاح الدين وأطلقهم "**[6].

أما ابن العماد الحنبلي فلم يذكرها في كتابه شذرات الذهب. فالحنبلي صنف كتابه بعدَ قرونٍ عديدة من الحقبة التي قامت فيها المعركة إذ إن وفاته كانت في سنة(1032ه/1623م) بالرغم من أنه ذكر أخبار السنة التي وقعت فيها المعركة وهي سنة(571ه/1176م)، إلاّ أن ذكره لأخبارها اقتصر على النص الآتي:**" فيها سار صلاح الدين، فأخذ منبج، ثم نازل قلعة عزاز مدة، وقفز على الإسماعيلية فجرحوهُ في فخذه، وأُخِذوا فقُتلوا، وافتتح القلعة"**[7]وهذا أسلوبٌ اتسم فيه الحنبلي في نقلهِ للأخبار بشكلٍ مختصر، إذ إن الحقبة التي عاش فيها فرضت عليهِ ذكرَ أخبارٍ لعصورٍ عديدة من بداية الخليقة وحتى نهاية العام الف الهجري أسوةً ببقية كتب التاريخ الإسلامي العام.

وعلى أيّةِ حال فإن نتائج معركة تل السلطان هي:

_استيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي على خيمة الأمير سيف الدين غازي[8]، وهذا يعني انتصاره السياسي.

---

(1) بدر الدين لؤلؤ: مملوك من مماليك أمير الموصل الزنكي نور الدين الثاني أرسلان شاه، أعطاه ثقته وأطلق يده في أمور الدولة الزنكية، مما مكنه أن يجعل نفسه وصياً على أولادِهِ الضعفاء من بعده،ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص203.

(2) أبو الفداء،عماد الدين اسماعيل صاحب حماه (ت732ه/1332م)، المختصر في أخبار البشر،تقديم: حسين مؤنس، تحقيق: محمد زينهم عزب وآخرين،(القاهرة، دار المعارف، د.ت).،2: 75.

(3) المصدر نفسه، ترجمة المؤلف، 1: 1.

(4) البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، 1419ه/1998م)،16: 510.

(5) ابن خلدون،عبد الرحمن (ت808ه/1406م) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ضبط : خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر،1421ه/2000م)،5 : 301.

(6) النجوم الزاهرة، 6: 23_24.

(7) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرين، بيروت، دار بن كثير، د.ت6،9: 395.

(8) ابن العديم، زبدة الحلب، 3: 27.

_أصبح صلاح الدين بن أيوب سلطاناً لمصر والشام.
_قطع الخطبة عن الملك الصالح اسماعيل[1].

ثالثاً_أهداف المؤرخين من تصوير المعركة ونتائجها.

كانت الكتب التي ذُكرت لاحقاً تذكر خبر المعركة وصفاً لصلاح الدين الأيوبي، أما ابن العديم في زبدة الحلب فيذكر الخبر وصفاً للصالح اسماعيل وسيف الدين غازي، مع ذكر حال المعركة و ظروفها كافة واحتمالات نتائجها مع ذكر الافتراضات كقولِهِ: **" وكان الملك الناصر بدمشق في أقلٍّ من العسكر، فلو عاجله سيف الدين لبلغ منه غرضاً، لكنه تأخر، فوصل عسكر مصر إلى الملك الناصر"**[2]. هذا قبل الكلام عن المعركة، ثم يقول:**" فسار من ناحية حلب، ليلقى سيف الدين، فالتقاه بتل السلطان، وكان سيف الدين قد سبقة الى تل السلطان، فوصل الملك الناصر العصر، وقد تعِب هو وأصحابه وعطِشوا، فألقوا نفوسهم إلى الأرض ليس فيهم حركة"**[3]. ويقول: **" فأشير إلى سيف الدين بلقائهم في تلك الحالة، فقال زلفندار: ما بنا حاجة إلى القتال في هذه الساعة، وغداً بكرةً نأخذهم كلهم" فترك القتال الى الغد، فلما أصبحوا اصطفوا للقتال، فجعل زلفندار الأعلام في وهدةٍ من الأرض، لا يراها إلاّ من هو قريبٌ منها"**[4]. هذه النصوص خاصة بابن العديم، وكلها تصف الحال قبل البدء بالمعركة ولكنها تدل على نتائجها. أما الكلام الخاص بالمعركة فهو: **" فلما التقى الفريقان، ظن أكثر الناس أن سيف الدين قد انهزم، لأنهم لم يروا الأعلام، فانهزموا بعد أن كان مظفر الدين بن زين الدين_ وهو في الميمنة_ قد كسر ميسرة الملك الناصر. وولّوا الأدبار، وأُسِر منهم جماعة فأطلقهم الملك الناصر"**[5]. فهنا كان الاختصار أكثر من نص ابن الأثير.

ومن الجديرِ بالذكر أن المصادر وبالرغمِ من النصوص المختلفة وتصويرها المختصر للمعركة فهي لم تذكر نتائج المعركة المهمة وهي انتقال القوة والثقل السياسي من الدولة الزنكية إلى الدولة الأيوبية.

ومن خلالِ الاطلاع على النصوص التي ذُكرت، يمكن الاستناد الى بعضها في التوصل إلى أسباب تغيّر نتيجة المعركة بشكلٍ مفاجيء، وتوضيحها عن طريق النقاط الآتية:

1_ أن جزءًا من القوات الأيوبية كانت خارج نطاق أرض المعركة وكانت مقسّمة إلى مجاميع وقامت بمباغتة الجيش الزنكي لاحقاً وبعد أن شعر السلطان صلاح الدين بتمكن القوات الزنكية وقرب انتهاء المعركة لصالحها، أو أن إمداداتٍ إضافية قدمت من جانبٍ خفي فباغتت الجيش الزنكي وغيرت نتيجة المعركة، إذ إن السلطان صلاح الدين بن أيوب أرسل إلى مصر يطلب إمداده بالقوات التي كانت فيها[6].

2_كانت القوات الزنكية متعبة من معارك عديدة معظمها كانت في التصدي للحملات الصليبية، في حين كانت القوات الأيوبية قوات فتية وذات أهدافٍ معينة وثابتة تطمح إلى إقامة دولة وهي الدولة الأيوبية، وكانت الفرصة سانحةً لها أكثر من وقتٍ آخر ولا بُدَّ لها من اغتنامها بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود.

3_ أن الأمراء الذين اشتركوا في المعركة ضمن القوات الزنكية لم يعتادوا القتال بدون وجود قادة الدولة الزنكية الكفوئين كالملك العادل نور الدين محمود وزين الدين كوجك بن بكتكين.

4_ نتيجةً لعدم معرفة المصادر بمستجدات الأحداث التي طرأت على المعركة دعتهم إلى ذكرها أحداثها بشكلٍ مختصر كما سبق ذكره. وبالرغم من ذلك فإن نتيجة المعركة واحداثها لا تتغير بشكلٍ فجائي بل بشكلٍ تدريجي.

5_كانت المعركة ذات أهمية كبيرة فهي معركةٌ فاصلة بين عصرين إسلاميين هما الزنكي والأيوبي.

الخاتمة

لقد كان رأي الباحث من خلال دراستِهِ لمعركة تل السلطان، وتدقيق نصوصها في أبرز المصادر الأولية المختصة بتاريخ الدولة الزنكية أن المعركة كانت من المعارك المهمة والحاسمة في التاريخ الإسلامي بشكلٍ عام، وتاريخ الدولة الزنكية التي حكمت الموصل ومحيطها والشام ومحيطها إلى البحر المتوسط بشكلٍ خاص. إذ كانت المعركة عاملاً مباشراً لنقل ميزان القِوى والسلطة من الدولة الزنكية إلى الدولة الأيوبية مع بعض العوامل المساعدة ونتيجتها.

إن مايضفي الغرابة على الصورة التي نُقلت فيها المعركة أمران:

الأول: إن النصوص التي نقلت أحداث المعركة في المصادر الأولية كانت مختصرة وكأن أحداثها لم تنقل بشكلٍ كامل، وتغيُّر نتيجة المعركة بشكلٍ كامل من أحد طرفيها إلى الآخر.

الثاني: اختلاف النصوص الخاصة بها من مصدرٍ إلى آخر وتشابهها ما بين قسمٍ المصادر عن غيرها، وميول المؤرخين المختلفة والتي اتضحت بشكلٍ بارز من خلالِ نصوصهم، فالبعض منها يختلف اختلافاً كاملاً وجذرياً عن الآخر، في حين أن البعض الآخر

(1) المصدر نفسه، 3: 24.
(2) ابن العديم، زبدة الحلب، 3: 26.
(3) المصدر نفسه، 3: 26.
(4) المصدر نفسه، 3: 27.
(5) المصدر نفسه، 3: 27.
(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 2 : 38.

متشابه ما بين مصدرين أو أكثر، فضلاً عن نقل النص من مؤرخ إلى آخر، وقد اتضح ذلك إما من خلال تطابق النصين، أو من خلال ذكر ذلك من قبل المؤرخ الناقل نفسه. فضلاً عن أن أحد المؤرخين يذكر معلومة لم يذكرها الآخر، أو أن عنصر المبالغة قد يدخل في بعض النصوص ويظهر ذلك من خلال الرجوع إلى نصوص المؤرخ الأقدم أو الأقرب إلى العصر الذي وقعت فيهِ المعركة. وقد توصل الباحث إلى احتمالات ربما كانت السبب في تغير نتيجة المعركة بعضها ذكرت من قبل بعض المؤرخين والأخرى قد رأى فيها الباحث أنها ربما تكون السبب في تغير أحداث المعركة وهي:

1_ قدوم إمدادات خاصة للجانب الأيوبي.

2_التعب الذي كان يعاني منه المقاتلون الزنكيون نتيجة خوضهم لمعارك المقاومة ضد الحملات الصليبية في عهد الملك نور الدين محمود.

3_ افتقاد المقاتلين الزنكيين لقادتهم الأوائل وهم الملك نور الدين محمود وقطب الدين مودود وحلفائهم من أمراء الجزيرة الفراتية.

4_جهل المؤرخين بأحداث المعركة كاملة.

المصادر والمراجع

أولاً_المصادر الأولية:

1_ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم عز الدين محمد بن محمد الشيباني(ت630هـ/ 1232م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل،تحقيق :عبد القادر احمد طليمات،(بغداد، مكتبة المثنى، 1963م).

2_ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق : ابي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ /1987م).

3_ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت739ه/1339م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجيل، 1412ه/1992م).

4_ البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت 643هـ/ 1246م)،اختصار الفتح بن علي البنداري من كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق: دكتورة فتحية النبراوي استاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة الأزهر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1979م).

5_ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف(ت 874هـ /1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1961م).

6- ابن خلدون عبد الرحمن الحضرمي(ت808ه)،تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ضبط : خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر،1421ه/2000م).

7_ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681ه)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د.ت).

8_ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748ه)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(بيروت، دار الكتاب العربي،1410/1990م).

9_ الذهبي، سير اعلام النبلاء،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت،مؤسسة الرسالة، 1401ه/1981م).

10_ سبط ابن العجمي(ت884هـ /1479م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق : شوقي شعث و فالح البكور، دار القلم العربي، (حلب، 1417ه/1996م)، 1 : 393.

11_ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911ه)، تاريخ الخلفاء، إشراف: محمد غسان نصوح عزفول الحسيني، (قطر وزارة الأوقاف واشؤون الإسلامية، 1434ه/2013م).

12_ أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي (ت665هـ/1267م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق : ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م).

13_ابو شامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: أحمد البيسومي، (دمشق، منشورات دار الثقافة، 1992).

14_ ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية _سيرة صلاح الدين _ : تحقيق : جمال الدين الشيال،(القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م) .

15_ ابن العديم كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت660هـ /1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت).

16_ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : سامي الدهان، (دمشق، المعهد الفرنسي، 1387هـ / 1968م).

17_ ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089ه)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، بيروت، دار أبن كثير، د.ت).

18_ابو الفداء عماد الدين اسماعيل صاحب حماه(ت732ه)، المختصر في أخبار البشر،تقديم: حسين مؤنس، تحقيق: محمد زينهم عزب وآخرين،(القاهرة، دار المعارف، د.ت).

19_ ابن قاضي شهبة بدر الدين (ت874ه)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود أبو زايد،(بيروت، دار الكتاب الجديد، 1971).

20_القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ /1283م) ،آثار البلاد واخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د.ت).

21_ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(ت774ه)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، 1419ه/1998م).

22_ ابن واصل جمال محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،تحقيق: جمال الدين الشيال،(القاهرة، المطبعة الأميرية، 1376ه/1957م).

23_ ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله ياقوت (ت626هـ / 1229م)، معجم الادباء، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1980م).

ثانياً_المراجع الحديثة.
1_ الدباغ، هدى ياسين،الاسهام الحضاري لاهل الموصل والجزيرة في بلاد الشام ابان العصرين الزنكي والايوبي (521_ 658هـ /1127_1258م) ، (العراق،الموصل، جامعة الموصل، ،دار ابن الأثير للطباعة، 1444هـ /2023م).
2_ الصلابي،علي محمد، مكانة العماد الأصفهاني ودوره في الدولة الأيوبية، الحلقة: الخمسون، ذو القعدة 1441ه/تموز يوليو 2020م).
3_ طقوش،محمد سهيل،تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام،(بيروت، دار النفائس، 1999م).
4_ العبايجي، ميسون ذنون، نواب ادارة قلعة الموصل خلال العهد الاتابكي (521_ 631هـ/1127_ 1234م)، بحث منشور،(مجلة دراسات موصلية، جامعة الموصل، مركز دراسات الموصل،2005م).
5_الغضنفري، صهيب حازم عبد الرزاق، العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الأتابكية الزنكية(521_579ه/1127_1183)،(الموصل، دار نون للطباعة والنشر، 1443ه/2022م).
6_القاضي الفاضل، مقالة متاحة على الرابط الآتي: ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%.

Sources and references
Firstly, primary sources:
1_Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Izz al-Din Muhammad bin Muhammad al-Shaybani (d. 630 AH/1232 AD), The Brilliant History of the Atabeg State in Mosul, edited by: Abdul Qadir Ahmad Tulaimat, (Baghdad, Al-Muthanna Library, 1963 AD).
2_Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Izz al-Din Muhammad bin Muhammad al-Shaybani, al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Abu al-Fida Abdullah al-Qadi, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1407 AH/1987 AD).
3_ Al-Baghdadi, Safi al-Din Abd al-Mu'min bin Abd al-Haqq (d. 739 AH/1339 AD), Observatories for the Study of the Names of Places and Spots, edited by: Ali Muhammad al-Bajawi, (Beirut, Dar al-Jeel, 1412 AH/1992 AD).
4_Al-Bandari Al-Fath bin Ali bin Muhammad (d. 643 AH), Sana Al-Barq Al-Shami 562 AH / 1166 AD: 583 AH / 1187 AD, a summary of Al-Fath bin Ali Al-Bandari from the book Al-Barq Al-Shami by Al-Imad Al-Katib Al-Isfahani, edited by: Dr. Fathia Al-Nabrawi, Assistant Professor of Islamic History at Al-Azhar University, (Cairo) Al-Khanji Library, 1979 AD.
5_Ibn Taghri Bardi Jamal al-Din Abi al-Mahasin Yusuf (d. 874 AH / 1470 AD), The Bright Stars in the Kings of Egypt and Cairo, (Cairo, Egyptian Foundation for Writing, Translation, Printing and Publishing, 1961 AD).
6_Ibn Khaldun Abd al-Rahman al-Hadrami (d. 808 AH), The History of Ibn Khaldun called Diwan al-Mubtada wa al-Khabar in the History of the Arabs and Berbers and Those Who Contemporarily Have Greater Importance, compiled by: Khalil Shehadeh, reviewed by: Suhail Zakkar, (Beirut, Dar al-Fikr, 1421 AH/2000 AD).
7_Ibn Khallikan Abu Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abi Bakr (d. 681 AH), Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, edited by: Ihsan Abbas, (Beirut, Dar Sader, D.T.).
8_Al-Dhahabi Shams al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman (d. 748 AH), The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables, edited by: Omar Abdel Salam Tadmurri, (Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1410/1990 AD).
9_Al-Dhahabi, Biographies of Noble Figures, edited by: Shuaib Al-Arnaout, (Beirut, Al-Resala Foundation, 1401 AH/1981 AD).
10_The tribe of Ibn al-Ajami (d. 884 AH / 1479 AD), Treasures of Gold in the History of Aleppo, edited by: Shawqi Shaath and Faleh Al-Bakour, Dar Al-Qalam Al-Arabi, (Aleppo, 1417 AH / 1996 AD), 1: 393.
11_Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr (d. 911 AH), History of the Caliphs, supervised by: Muhammad Ghassan Nasouh Atful al-Husseini, (Qatar Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1434 AH/2013 AD).
12_Abu Shamah Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail bin Ibrahim bin Othman al-Maqdisi al-Shafi'i, (d. 665 AH/1267 AD) Al-Rawdhatain fi Akhbar al-Dawlatayn al-Nuriya and al-Salihiyya, Commentary: Ibrahim Shams al-Din, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD).
13_Abu Shamah, Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail al-Maqdisi Abu Shamah (d. 665 AH), Uyun al-Rawdhatain fi Akhbar al-Dawlat al-Nuriya wa al-Salihiyya, edited by: Ahmed al-Baisumi, (Damascus, House of Culture Publications, 1992).

14_Ibn Shaddad, Bahaa al-Din Abi al-Mahasin Yusuf bin Rafi' bin Tamim (d. 632 AH/1234 AD), Al-Nawadir al-Sultaniyya wa al-Mahasin al-Yusufiyah _Biography of Saladin_: Edited by: Jamal al-Din al-Shayyal, (Cairo, Egyptian House for Authoring and Translation, 1964 AD).
15_Ibn al-Adeem Kamal al-Din Abi al-Qasim Omar bin Ahmad bin Hibatullah (d. 660 AH / 1262 AD), with the aim of asking for a history of Aleppo, edited by: Suhail Zakkar, (Beirut, Dar al-Fikr, D.T).
16_Ibn al-Adeem Kamal al-Din Abi al-Qasim Omar bin Ahmed bin Hibat Allah (d. 660 AH / 1262 AD), Butter of the Milk from the History of Aleppo, edited by: Sami Al-Dahan, (Damascus, French Institute, 1387 AH / 1968 AD).
17_Ibn al-Imad Shihab al-Din Abi al-Falah Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad al-Akri al-Hanbali al-Dimashqi (d. 1089 AH), Gold Nuggets in News of Gold, edited by: Abdul Qadir al-Arnaout and others, Beirut, Dar Ibn Katheer, d.d.
18_Abu Al-Fida Imad Al-Din Ismail, the owner of Hama (d. 732 AH), Al-Mukhtasar fi Akhbar Al-Bishr, presented by: Hussein Mu'nis, edited by: Muhammad Zainhum Azab and others, (Cairo, Dar Al-Ma'arif, d.d).
19_Ibn Qadi Shahba Badr al-Din (d. 874 AH), Al-Kawakib al-Durriyya fi al-Sirah al-Nuriyyah, edited by: Mahmoud Abu Zayed, (Beirut, Dar al-Kitab al-Jadeed, 1971).
20_Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD), Antiquities of the Country and News of the People, (Beirut, Dar Sader, d.d).
21_Ibn Kathir Imad al-Din Abi al-Fida Ismail bin Omar al-Qurashi al-Dimashqi (d. 774 AH), The Beginning and the End, edited by Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, (Cairo, Dar Hijr, 1419 AH/1998 AD).
2222_Ibn Wasil Jamal Muhammad bin Salem, Mufarrej al-Karub fi Akhbar Bani Ayyub, edited by: Jamal al-Din al-Shayyal, (Cairo, Al-Amiriya Press, 1376 AH/1957 AD).
23_Yakot Al-Hamawi Shihab al-Din Abi Abdullah bin Abdullah Yaqut (d. 626 AH / 1229 AD), Dictionary of Writers, (Beirut, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, 1980 AD).

Secondly: Modern references

1_ Al-Dabbagh, Hoda Yassin, The Cultural Contribution of the People of Mosul and the Jazira in the Levant during the Zengid and Ayyubid Ages (521_658 AH / 1127_1258 AD), (Iraq, Mosul, University of Mosul, Dar Ibn Al-Atheer for Printing, 1444 AH / 2023 AD).
2_Al-Salabi, Ali Muhammad, The status of Al-Imad Al-Isfahani and his role in the Ayyubid state, Episode: The Fifty, Dhul-Qi'dah 1441 AH/July 2020 AD).
3_Taqoush, Muhammad Suhail, The History of the Zengids in Mosul and the Levant, (Beirut, Dar Al-Nafais, 1999 AD).
4_ Al-Abayji, Maysoon Thanoun, Representatives of the Administration of the Mosul Citadel during the Atabeg Era (521_631 AH / 1127_1234 AD), published research, (Journal of Mosul Studies, University of Mosul, Center for Mosul Studies, 2005 AD), p. 8: 26; Al-Dabbagh, the cultural contribution.
5_Al-Ghazanfari, Suhaib Hazem Abd al-Razzaq, Relations between Mosul and Aleppo in the era of the Zengid Atabegism (521_579 AH / 1127_1183), (Mosul, Dar Noun for Printing and Publishing, 1443 AH / 2022 AD).
6_The Honorable Judge, an article available at the following link: ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%.